

اجتهادات عندما تُفتقد الأفكار

تفتقد الاحتجاجات الراهنة ضد العنصرية والعبودية أساساً فكرياً تستند إليه في بلورة اتجاهاتها. ولعل هذا يفسر، أو قل إنه أحد تفسيرات، تخبّطاً نتابعه في هذه الاحتجاجات التي بدأت في الولايات المتحدة في آخر مايو الماضي، وامتدت إلى بعض الدول الأوروبية.

لا يوجد معيار أو مقياس لتحديد العدو في هذه الاحتجاجات بسبب افتقاد الأفكار التي يستمد المحتجون منها الرؤية اللازمة لتحديد مواقفهم. ولذلك حدث، ويحدث، شطط أحياناً في تحديد الأهداف التي تُهاجم في هذا الاحتجاج أو ذاك. وكثيراً ما حدث هجوم ضد رموز تُمثّل تراثاً للإنسانية، اعتقاداً من المحتجين في أنها جزء من تاريخ العبودية أو العنصرية.

وفضلاً عن الانتقائية في اختيار رموز تاريخية تُصنف بوصفها جزءاً في هذا التاريخ، لا يقدم المحتجون جواباً شافياً عن سؤال محوري، بل لا يبدو أنهم يعيرونه اهتماماً، هو: هل الأكثر فائدة وجدوى تبديد الجهد في محاربة تاريخ يمكن الاختلاف على رواياته، أم استثمار الطاقة المبددة في تغيير الواقع لكي يكون المستقبل خالياً من العنصرية والاستعباد؟

وهنا، تختلف موجة الاحتجاجات الراهنة عن سابقتها، التي استندت إلى أفكار ورؤى واضحة، سواء في الولايات المتحدة أو في دول أخرى في عالمنا. وكان المفكر الفرنسي (من جزر المارتنيك التابعة لفرنسا) فرانس فانون أهم الرواد الذين ساهموا في إنارة الطريق أمام موجات احتجاج

سابقة، منذ أن أصدر كتابه الأول (بشرة سوداء - أقنعة بيضاء) عام 1952، بعد أن صدمته طريقة معاملة الجنود السود خلال تطوعه في الجيش الفرنسي في الحرب العالمية الثانية.

فقد عاش شخصيًا تجربة التمييز بين البيض والسود. وعكف على دراسة ظاهرة العنصرية، وتعمق في بحث حالة الاستلاب الثقافي التي يُصاب بها الإنسان الأسود حين يساير ثقافة البيض. وبرع في تشخيص كيف يوضع السود في وضع يدفع بعضهم إلى تمثل هذه الثقافة، وهو ما قصده بالأقنعة البيضاء، أي مغالاة بعضهم في إظهار أنهم أكثر بياضاً من البيض.

وليس هذا إلا جزءاً من أفكار قانون التي ألهمت حركات نضال سابقة ضد العنصرية والعبودية، وتفتقد الاحتجاجات الراهنة مثلها